المروية العربية وصراع الذاكرة

زيد الفضيل
باحث في التاريخ

@zash113

تنطلق غدا الاثنين بمقر مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بمدينة الرياض أولى فعاليات أيام المروية العربية التي كان المركز قد دشنها في ديسمبر 2022م، ويسعى المشروع إلى إبراز البعد الحضاري للجزيرة العربية ودورها الثقافي المتجذر في التاريخ، ومعالجة الالتباس والتراجع الواقعين في مفهوم الحضارة العربية، والوقوف أمام المحاولات الدؤوبة لطمس وتهميش الاستحقاق الحضاري للعرب، مع الاهتمام بنقد السرديات التاريخية عنهم، وتكريس رؤية علمية أكثر إنصافا في الأوساط البحثية والأكاديمية العالمية.

وتأتي هذه الفعالية التي تحمل عنوانا رئيسا وهو: «نقل العلوم إلى العرب ومن العرب: إشكالات المروية الكلاسيكية». متناغمة مع إرث الشهيد الملك فيصل ـ يرحمه الله ـ الذي حمل على عاتقه رفع لواء العروبة بمفهومها الحضاري وليس العرقي؛ ومتسقة مع الدور المركزي الذي تقوده المملكة العربية السعودية حاليا وفق رؤية ولي العهد رئيس مجلس الوزراء الأمير محمد بن سلمان، الذي يسعى لأن يسود العرب ويرتفع شأنهم على الصعيد العالمي.

على أن الزمن هو الأكثر أهمية في مشروع المروية العربية، حيث تأتي الفعالية في الوقت الذي باتت ذاكرتنا مهددة بالتلاشي، جراء الإحساس المُريع بالهزيمة الحضارية، والتصور القائم في ذهن جهلة الناس بأن الحضارة والتطور والرقي والنمو كله صناعة غربية بامتياز، وأنه لولا أولئك لما وجد العدل والتقدم والنمو والحضارة في العالم، ولعمري فذلك هو مبلغ الجهل الذي يتبنى المتفذلكون رفع الصوت به هنا وهناك.

وواقع الحال فإني على الصعيد الشخصي أجد لأولئك المتفذلكين عذرا في جهلهم، لكوننا لم نهتم على الصعيد التعليمي بتقديم سرديتنا الحضارية كما يجب، وتمحور تاريخنا حول الجانب السياسي دون الجانب الحضاري والقيمي، ولذلك خرج أولئك من التعليم العام وهم خالي الوفاض من معرفة أبجديتنا العلمية التي خطها العلماء الأوائل، بترجمتهم للعلوم والمعارف السابقة سواء كانت لاتينية أو فارسية وهندية وغيرها، وهضمهم لها جملة وتفصيلا، ثم إعادة إنتاجهم لتلك العلوم والمعارف بشكل أكثر عمقا وحضارة، حتى أنهم مثلوا المرتكز لكل العلوم المعاصرة على مختلف الأصعدة.

إنها المروية الحضارية التي صنعها الإنسان خلال عصر ازدهار الحضارة العربية المسلمة التي تم إغفالها معرفيا في ثقافتنا لسبب أو لآخر، وتلقف نتاجها بعض الأوربيين مع ابتداء ولوجهم عصر النهضة الذي أفضى لعصر الأنوار ثم عصر نقد عالم الأنوار بلوغا لعصر الحداثة وما بعد الحداثة.

في الوقت الذي توقف فيه العرب عن إكمال مسيرتهم الحضارية، ودخلوا في شرنقة واسعة من التخلف على عهد المماليك ثم الدولة العثمانية، التي أخرت الدخول للعصر الحديث قرابة ثلاثة قرون جراء منعها لتقنية الطباعة المكتشفة في منتصف القرن 15 الميلادي، والتي كان لها الدور الرئيس في زيادة مساحة الرقعة الثقافية مجتمعيا، وتحويل المعرفة من إطارها النخبوي إلى سياقها الشعبي؛ مع الإشارة إلى أن العرب لم يعرفوا المطبعة في سياقهم الذهني الحضاري الحديث إلا مع غزو نابليون لمصر مطلع القرن 19 الميلادي، كما استعادوا هويتهم وارتباطهم بالعلوم مع حضور المجمع العلمي الفرنسي في القاهرة، الذي مثلت تجاربه العلمية صدمة لهم كما يذكر المؤرخ المصري الجبرتي في كتابه عجائب الآثار.

وحقا، فقد كان ذلك مؤشرا لدخول العرب عالم النهضة من جديد، إلا أنه قد تم من الباب الخطأ، وأقصد به باب الاستلاب الحضاري الذي سيطر على وجدان وذهن المثقف العربي المُستغرب، فأراد أن يعممه علينا، وهو ما جعل مسيرة نهضتنا الحديثة تراوح مكانها خلال مائتي عام، لكوننا سلكنا طريقا ليس طريقنا، وغفلنا عن ربط مشيمتنا الحضارية بمشيمة علماء أنوارنا نحن، وليس علماء أنوارهم هم، وهو ما أشرت إليه مرارا وتكرارا عبر عدد من الأوراق والمقالات ومنها مقال «التراث وجسر العبور للمستقبل» على هذه الصحيفة.

أشير مكررا إلى أن صراعنا القادم على الصعيد الثقافي سيكون صراعا تاريخيا بامتياز، فالذاكرة هي ما تسعى المنظومة الصهيونية للسيطرة عليها، إذ وحين يتم تفريغ المحتوى الذهني لأبنائنا من أي معلومة دقيقة حول تاريخهم وحضارتهم، مع القيام بملئها بما يريدون ويصب في صالحهم، فإن مجتمعنا سيكون قطيعا يسهل عليهم قيادته في المسار الذي يريدون، وحال الوصول إلى ذلك نكون قد فقدنا إنسانيتنا وحريتنا، وأصبحنا مجتمعا فاقد الإرادة، يسهل سوقه في المسار الذي يُرسم له.

وكم أخشى من بلوغ ذلك لاسيما مع حالة التجهيل السائدة التي بات فيها اسم نبينا وأبيه وجده صعب المنال لدى جمهرة واسعة من أولادنا، وصار الرويبضة في مجتمعنا يفتئتون بمروياتهم المغلوطة دون رقيب أو حسيب. والله المستعان.

أين دورات المياه العامة في المدن؟!

وليد الزامل
متخصص في التخطيط العمراني

@waleed_zm

في جولة داخل الأماكن العامة في المدينة دعوني أسوق لكم مشهد ذلك الطفل الذي يلح على والده بالذهاب إلى دورة مياه، ليقضي والده نصف ساعة أو يزيد بحثا عن دورة مياه داخل مجمع تجاري أو حديقة عامة؛ لأن الفضاءات العامة في المدينة لا تتوافر فيها دورات مياه!.

مشهد آخر لكبير سن أو مريض سكر يتجول في فضاء المدينة ثم يتوقف برهة ويتساءل عن دورة مياه؟ يستوقفك سائح أجنبي أحيانا ليسألك «Where is the bathroom?» وإذا تجاهلته أو لم تستوعب كلامه يلح عليك بالطلب قائلا «Hamam, Hamam, Hamam?»، يرشده البعض للذهاب إلى دورات المياه المتوافرة في المسجد القريب ليذهب مسرعا، ثم يتفاجأ أن هذه الدورات مقفلة خارج أوقات الصلاة، وهو ما يؤكد غياب التكاملية بين العناصر العمرانية في الحي السكني، فالخدمات المساندة للمساجد كدورات المياه تقفل خارج أوقات الصلاة ولا يمكن الاستفادة منها؛ والأمر ينسحب على كثير من الخدمات العامة داخل الحي السكني التي لا يمكن الاستفادة من مرافقها خارج أوقات الدوام.

حتى عندما تكون داخل مطعم وجبات سريعة تتساءل عن دورة مياه، ليأتيك الجواب عفوا المطعم لا يتوافر به دورة مياه للزبائن؛ بل مغاسل فقط وعليك الذهاب خارج المطعم؛ بعبارة أخرى «دبر نفسك» أين أذهب؟. تعود إلى سيارتك وتضطر للذهاب إلى المنزل وقطع برنامجك بالكامل، فقط لأنك غير قادر على إيجاد دورة مياه عامة!.

إن جودة الحياة في المدن تقيس مجموعة من المؤشرات الاجتماعية والاقتصادية والنفسية والصحية، التي تعكس رضا الإنسان عن البيئة التي يعيش فيها ومدى تفاعله معها. وعليه، فإن تحسين جودة الحياة يقتضي تهيئة الظروف البيئية اللازمة لمشاركة الإنسان في أنشطة المدينة بما فيها الأنشطة الاقتصادية، والثقافية، والرياضية، والترفيهية، والسياحية.

ويرتبط مفهوم جودة الحياة برفع مستويات قابلية العيش، والتي تشمل تحسين البنى التحتية والخدمات الأساسية كالأمن والصحة والتعليم، كما يرتبط هذا المفهوم بتحسين نمط الحياة من خلال تعزيز موائمة البيئة العمرانية للارتقاء بأنماط حياة تعزز الصحة الجسدية والنفسية، بما في ذلك تبني أنماط عمرانية تقوي الاتصالية بين مكونات الحي السكني، وتولد فرص اقتصادية وتشجع على التواصل الاجتماعي وممارسة رياضة المشي كنمط حياة يومي وبشكل ينعكس إيجابا على صحة الإنسان وعطائه على المدى الطويل.

ورغم السعي الحثيث للمدن السعودية نحو تعزيز تصنيف مؤشرات السعادة في المدن، وتطوير كثير من الفعاليات والأنشطة الثقافية والرياضية والسياحية، إلا أن كثيرا من هذه الأنشطة تتموضع في سياق لا يتماهى مع المدينة لتنحصر الاستفادة منها في أوقات المواسم والمناسبات.

توفر المشاريع الخدمية والتجارية الكبرى كثيرا من الخدمات المساندة كمواقف السيارات، وخدمات انتظار الحافلات، ودورات المياه العامة، وخدمات مستلزمات العناية بالأطفال، وغرف الاستراحة للسائقين، ومسارات المشاة، ونقاط الاتصال الذكية والبنية التحتية. وفي المقابل، يبقى فضاء المدينة حلقة تكاد تكون مفرغة ويغيب دورها كعنصر ربط بين المناطق الخدمية والسكنية والتجارية. وهكذا، يخلو فضاء المدينة من العديد من هذه الخدمات، ولعل أبرزها دورات المياه العامة.

ختاما، لعلي اقترح في نهاية هذا المقال العمل على تصميم دورات مياه عامة في المدن برسوم رمزية تستخدم عوائدها في صيانتها ونظافتها وبشكل يعزز من تكاملية الخدمات والأنشطة داخل فضاء المدينة.

شبابنا.. و«الطاهي الجوي»

أحمد صالح حلبي

ahmad.s.a@hotmail.com

راهنت رؤية المملكة 2030 على الشباب السعودي باعتبارهم من أهم وأكبر الفئات، وأطلقت وزارة الموارد البشرية والتنمية الاجتماعية بالتعاون مع القطاعات الحكومية والأهلية كثيرا من البرامج والمشاريع لتمكينهم من المشاركة في سوق العمل، بعد إعدادهم وتأهيلهم وتنمية قدراتهم وصقل طاقاتهم ليتمكنوا من الإبداع والتفاعل مع الأعمال التي سيكلفون بها.

وعمل صندوق تنمية الموارد البشرية -هدف- على فتح كثير من مجالات العمل للشباب والفتيات، كما أسهمت مجموعة الخطوط السعودية ـ كناقل وطني ـ في إعداد وتأهيل الشباب والفتيات لسوق العمل خلال عدة برامج منها برنامج «الطاهي الجوي»، الذي تم تصميمه من جامعة الأمير مقرن بن عبدالعزيز، ليكون شاملا جامعا بين التدريب النظري والعملي، ويسهم في توطين وظيفة «الطاهي الجوي»، التي تعد إحدى الخدمات المتميزة التي تقدمها الخطوط السعودية لضيوفها على الدرجة الأولى للرحلات الدولية، «وفق أفضل المعايير في هذا المجال بما يستوفي اكتسابهم كثيرا من المعرفة والمهارات اللازمة، منها استيعاب معايير الخدمة على متن الطائرة، والوعي بمقاييس سلامة الطيران والبروتوكولات، ومعرفة ومهارات صناعة الطهي والضيافة السعودية».

ومثل هذا البرنامج وغيره من البرامج المنتهية بالتوظيف، تفتح المجال أمام الشباب والفتيات لتطوير قدراتهم والارتقاء بخدماتهم، وتسهم في رفع نسبة التوطين بمجالات عمل لم تكن مقبولة لدى الشباب والفتيات من قبل، وهذا ما لاحظته أثناء حضوري حفل تخريج الدفعة الأولى من «الطاهي الجوي»، البالغ عددهم (35) خريجا منهم (4) سيدات، والذي أقامته مجموعة الخطوط السعودية الأسبوع الماضي، بحضور معالي رئيس جامعة الأمير مقرن بن عبدالعزيز، الدكتور بندر محمد حجار، ومعالي مدير عام مجموعة الخطوط السعودية المهندس إبراهيم عبدالرحمن العمر.

وبتخريج الدفعة الأولى ارتفعت نسبة التوطين في خدمات «الطاهي الجوي» من 3 % إلى 22 %، وهي نسبة وإن كانت غير مقنعة حاليا، إلا أنها تشير إلى وجود إصرار لدى مجموعة الخطوط السعودية على تنفيذ برامج جيدة لإعداد الشباب والفتيات وتأهليهم للعمل مباشرة، لإدراكها أن نسبة التوطين لا ترتبط بالعدد لأنه مجرد رقم، والتوطين الحقيقي يكمن في الإعداد والتأهيل الجديدين، والاستمرارية في العمل، فكم من برامج إعدادية نفذت ولم يجد خريجوها فرصا وظيفية، وكم من موظفين رفعوا نسبة السعودة داخل بعض المنشآت لكنهم لم يسهموا في رفع نسبة الإنجاز.

وما نحتاجه اليوم من القطاعات والمؤسسات الحكومية العمل على دراسة احتياجات السوق بشكل جيد قبل تنفيذ أي برنامج تدريبي، كما نحتاج من الأسر تحفيز الشباب والفتيات على قبول الأعمال المهنية وإثارة دافعيتهم لها؛ فالتحفيز وإن يشجعهم على العمل بشكل أفضل؛ فإنه يقودهم لتقديم إنجازات كبيرة وأعمال جيدة، ويمنحهم القدرة على الاعتماد على أنفسهم من خلال تعلم مهارات مختلفة تحقق أحلامهم، وتضعهم أمام تحد حقيقي لا يأتي إلا من الروح المعنوية العالية.

ماذا يعني يوم التأسيس لنا ولغيرنا؟

صهيب الصالح
باحث سياسي واجتماعي

@9oba_91

احتفلت المملكة العربية السعودية هذه الأيام بمناسبة يوم تأسيس الدولة لأول مرة قبل ثلاثة قرون، إذ جاء الأمر الملكي الكريم بإقرار تاريخ 22 فبراير من كل عام من منطلق اعتزاز الدولة بجذورها الراسخة منذ عام 1727، وارتباط مواطنيها الوثيق بقادتها منذ عهد الإمام محمد بن سعود، الجد الرابع للملك عبدالعزيز، الذي أرسى من إمارته في الدرعية أول دولة مركزية موحدة في الجزيرة العربية، منذ قرابة أحد عشر قرنا مضت قبله، اتسمت معظم سنواتها بالاقتتال والاحتراب القبلي بسبب غياب الإدارة الرشيدة لمساحات البلاد الشاسعة من ناحية، وأطماع القوى الأجنبية وتبعية بعض الفاعلين في الجزيرة العربية لهم من ناحية أخرى، وهذا التأسيس هو على خلاف كافة النماذج المحيطة بالمملكة والبعيدة عنها أيضا، إذ نشأ جذره ذاتيا ومستقلا دون أن تصفف له الأنظمة أو ترتصف لخدمته الجيوش، ودون أن ترسي قواعده قوى أجنبية؛ لذا فهو يرمز إلى صلابة وحدوية القيادة والشعب السعودي وذاتية أصالتهما ومدنيتهما.

وقد يكون من المهم لفت الانتباه إلى أن الدرعية التي أسس منها الإمام محمد بن سعود الدولة السعودية قبل ثلاثة قرون، كانت قد تأسست قبله بحوالي ثلاثة قرون أخرى في عام 1446 على يد مانع المريدي، الجد الثاني عشر للملك عبدالعزيز، ويشي اختيار الدرعية كمنطلق لتأسيس الدولة وعاصمتها الأولى إلى أن ملاءمتها لاستراتيجية الدولة المركزية الموحدة كانت في أذهان جيل التأسيس المتطلع والطموح؛ إذ تتميز الدرعية بوقوعها على أهم أودية نجد على الإطلاق وهو وادي حنيفة، كما كانت تقع على إحدى أهم الطرق التجارية القديمة التي تنطلق من جنوب الجزيرة العربية وتصل إلى العراق شرقا والحجاز غربا ودومة الجندل شمالا، وهي نفسها طريق الحج للقادمين من العراق وغرب آسيا ووسطها، ومن هنا نستنتج أن تأمين طرق الحج والعمرة كانت أولى الخدمات التي قدمتها هذه الدولة إلى قاصدي الحرمين نظرا لأن الجزيرة العربية كانت تعيش آنذاك حالة من عدم الاستقرار وانعدام في الأمن.

وإلى جانب تلك الحالة المنتشرة في الجزيرة العربية، فقد ذكرت المصادر التاريخية السعودية والمؤرخون المستقلون أن الإمام محمد بن سعود كان يستلطف الخلوة والتأمل والتفكر، مما يدلل على حصافته ومقدرته على الاستقراء، وكان قد ورث إمارة الدرعية وهي في حالة استثنائية، نظرا لما كانت تعيشه آنذاك من ضعف وانقسام داخلي، في الوقت الذي كان يستشري فيه أيضا مرض الطاعون بين مجتمع الجزيرة العربية ومجتمع الدرعية، فما كان منه إلا أن بدأ أشغاله بتوحيد الدرعية أولا وتثبيت الاستقرار فيها، ثم انشغل بالعمل على التئام مجتمعه وتقويته من خلال توحيد أفراده، حتى تحول به من مجتمع منقسم إلى مجتمع حيوي، وكانت حالة الأمن التي نجح في إرسائها جاذبة لأوجه عديدة من الأنشطة المدنية، فصارت الدرعية في عهده مقصدا للدعوة الإصلاحية بغرض حمايتها والاستنصار لها، تماما مثلما أصبحت الدرعية أيضا مقصدا للتجار وطالبي العلم والمعرفة حتى تحولت إلى مركز جاذب للرجال ورؤوس الأموال والعقول المستنيرة، وهي بذلك استطاعت باقتدار أن تشكل اقتصادا مزدهرا بين مثيلاته من اقتصادات المنطقة آنذاك.

وتأتي أهمية ذكرى التأسيس لكونها تعيد إلى الأذهان السردية التاريخية الحقيقية بأصالتها وجذورها القديمة، التي أريد لها إما أن تذوب أو أن تغيب في تيارات وموجات قومية وأخرى دينية حتى يومنا هذا، فمن ينتسبون إلى طبقة النخب العربية من تلك التيارات، يرتكزون على سردية تتعمد فصل الحاضر السعودي عن ماضيه الأصيل؛ بغية الوصول إلى نتائج مزعومة يستطيعون من خلالها ادعاء هشاشة الأصالة والحضارة السعودية، وتحاول في الوقت نفسه أن تقفز ببعض الأنشطة التي نشأت في كنف الدولة الوطنية لتكون جوهرا للدولة ذاتها، مع تجاهل مدنية الدولة، لكن السعوديين يعون أن ما نشأ في كنف الدولة فهو تلقائيا يبقى في كنفها ولا يمكن أن يعتلي عليها؛ لذا فإن ذكرى التأسيس تتيح المجال أيضا أمام المطارحات العلمية في التاريخ السياسي والاجتماعي للمنطقة العربية برمتها، ويكفينا نحن السعوديين أن نضع يوم التأسيس هذا في مواجهة أيام الاستقلال والاتحاد التي تحتفل بها بلدان المنطقة، ليتضح الفارق الحقيقي في عمق الحضارة السعودية ومدنيتها عن غيرها، وللتأكيد كذلك على ذاتية نشوئها واستقلالها منذ فجرها الأول.

لقد كان جيل التأسيس، كما تقدم ذكره، جيلا متطلعا وطموحا، واستطاع منذ بداياتنا قبل ثلاثة قرون تكوين مجتمع حيوي واقتصاد مزدهر بين نظرائه آنذاك، وهذه المرتكزات الثلاثة هي نفسها المحاور التي تحرك الاستراتيجية الوطنية اليوم المتمثلة في رؤية المملكة 2030، وقد تم ذلك أولا وراهنا من خلال الإعلاء من شأن الإنسان السعودي والإيمان به، فتوفرت له البيئة الآمنة والمستقرة التي أوجدت سبيلا سالكا للتعايش المدني في بيئة محيطة اتسمت بالشتات والنزاعات، كما حفزت على تطويع العلوم والمعارف للتقدم أكثر بالدولة السعودية. لذا، فإن يوم التأسيس يعني أن الدولة السعودية هي أعظم دولة مركزية في تاريخ الجزيرة العربية، بعد دولة الرسالة النبوية.

مؤسسة مكة للطباعة والإعلام
مكة
Makkah AlMukarramah • المكرمة

رئيس مجلس الإدارة
عبدالعزيز بن محمد عبده يماني

المدير العام المكلف
ورئيس التحرير
موفق بن سعد النويصر
alnowaisir.m@makkahnp.com

مدير مركز المحتوى الإبداعي
علي حسين بن مطير
muter.a@makkahnp.com

المركز الرئيسي: مكة المكرمة
هاتف: 0125201733
فاكس: 0125203055
ص.ب: 5803
الرمز البريدي: 21955
فاكس الإعلانات: 0125201423
فاكس الاشتراكات: 0125200734
الاشتراكات: 0504720131
makkah@makkahnp.com

جدة
هاتف: 0126570402
فاكس: 0122345938
الرمز البريدي: 21553
ص.ب: 51787

لمراسلة الإعلانات الحكومية والفردية والتجارية:
gov@makkahnp.com
ads@makkahnp.com

رقم الإيداع: 1762/1435
ردمد: 1658-6646

الرقم الموحد:
920003453
الاشتراكات:
0500882058